

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسر موقع ميراث الأنبياء أن يقدم لكم تسجيلاً لدرسٍ في شرح أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - ألقاه فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن سعد السحيمي - حفظه الله تعالى - ضمن فعاليات دورة الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ الشرعية الأولى المقامة بجامعة خادم الحرمين بمدينة جازان في شهر ربيع الأول عام أربعةٍ وثلاثين وأربعمائة وألف هجرية نساءً الله - سبحانه وتعالى -

أن ينفع به الجميع.

الدرس الثاني

بِسْمِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِشَيْخِنَا وَلِلْحَاضِرِينَ وَلِلسَّامِعِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

الهنن:

قال المؤلف - رحمه الله تعالى -:

وَتَرَكَ الْخُصُومَاتِ

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين،

قال - رحمه الله -: " **وَتَرَكَ الْخُصُومَاتِ** "، المقصودُ هنا الخصومات بغير حق

المُخاصمة بالباطل ومنه سمي النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي يجادل بالباطل

بألد الخصام قال الله - عز وجل -: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**

وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ ﴿٢٠٤﴾ **وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ**

لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ ﴿٢٠٥﴾ **وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ**

اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ هذه الخصومات

خصومات في الدين الجدل بالباطل، وقد صح عن رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - أنه قال: ((مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوْتُوا الْجِدَلَ)) وتلا قول الله تعالى: ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ صح عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: ((أَنَا زَعِيمٌ بَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا)) يعني إذا كان حقاً خاصاً يخصه هو، وأما الجدال في إظهار الحق وإزهاق الباطل فهذا مطلوب قال الله - عز وجل - : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ وقال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ فالجدل في عمومه مذموم لكن إذا كان الجدال هو إقامة الحجج والبراهين لإظهار الحق، وإزهاق الباطل فهذا أمرٌ مطلوب،

ومن جدل أهل الباطل تقديمهم العقل على النصوص الشرعية، فإذا قلت لهم قال الله تعالى، وقال رسوله - صلى الله عليه وسلم - قالوا هذا مخالف للأصول العقلية، وهذا مخالف للعقل مع أن العقل الصحيح لا يخالف النقل الصريح أبداً بحال من الأحوال، ومن هنا ألف شيخ الإسلام ابن تيمية كتابه المعروف الكبير والموسوم بـ "درء تعارض العقل والنقل" قد اجتزئ منه موافقة صحيح المعقول لصريح المنقول، فالجدل بالباطل هو المذموم، هو من صفات الكافرين، ﴿ وَيُجَادِلُ ﴾

الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴿١﴾ وقال تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾.

يقول الإمام مالك - رحمه الله -: "أو كلما جاءنا رجلٌ أجدل من رجلٍ تركنا سنة نبينا - صلى الله عليه وسلم - لجدل هؤلاء"

ولذلك لما ذكرت بعض الأحاديث، لما ذكر الإمام الشافعي بعض الأحاديث قال له قائل فما تقول أنت قال: "ويحك أرايتني يهودياً أو نصرانياً، أرايت عليّ ذوناراً أتراني في بيعة أو في كنيسة" أو كما قال - رضي الله عنه ورحمه -.

والمقصود خلاصة القول أن الجدل على قسمين:

- مجادلة لإظهار الحق وإزهاق الباطل وهذا محمود.
- وجدلٌ بالباطل وهذا مذموم.

ومن هنا نهى السلف عن كثرة الدخول مع أهل الباطل في خصومات لأنهم قومٌ بهت، يعني لا يفقهون الحق حتى يتبعوه وليس عندهم من الحق ما يقنعونك به، بل همهم هو الجدل إذ أن ما هم فيه من حب الخصومات والجدل يُعميهم عن

سماع الحق فلو أقمت لهم أدلة أمثال الجبال لولَّوا مُدْبِرِينَ بل وأتوك بأمور
يحسبون أنها حقاً وهي باطل ولا يقبلون لا آية ولا حديثاً،

العلم قال الله قال رسوله *** قال الصحابة ليس بالتمويه

الهنز:

وترك الجلوس مع أصحاب الأهواء

الشرح:

وترك الجلوس مع أصحاب الأهواء المخالطة ومجالسة أصحاب الأهواء يُعدي
كما يُعدي الصحيح الأجر ب يغمس من يجالسهم في أهوائهم، وقد أمر الله - عز
وجل - بالبعد عنهم وحذر من مجالستهم قال - عز وجل -: ﴿إِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ
يُخْضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ
الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وقال - تبارك وتعالى -:
﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ ﴿٢٧﴾ يَا
وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا﴾ ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ

الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿ وَقَالَ - جلا وعلا-: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: ((مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلِ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْدِثَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً)) ويقول- صلى الله عليه وسلم-: ((المرءُ على دين خَلِيلِهِ)) والمرءُ مع من أحب، جاء أعرابي إلى النبي - صلى الله عليه وسلم-: ((فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى السَّاعَةُ؟ فَأَشَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ أَنْ اسْكُتْ، قَالَ: فَسَأَلَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ كُلُّ ذَلِكَ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ أَنْ اسْكُتْ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ الثَّالِثَةِ: " وَنَحْكَ مَاذَا أَعَدَدْتَ لَهَا؟ " قَالَ: حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ: " إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ))

يقول أنس - رضي الله عنه- راوي الحديث: ((فَوَاللَّهِ! مَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ، بِمِثْلِ مَا فَرِحْنَا بِذَلِكَ يَوْمَئِذٍ؛ لَأَنَّا نَحِبُّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَنُحِبُّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ)) إذا المرءُ مع من أحب، وعد النبي - صلى الله عليه وسلم- من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ((وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ

اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ)) ولَمَّا قِيلَ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ)) فعلينا أن نُعْنَى بمجالسة الصالحين وأن ننأى بأنفسنا عن مجالسة أهل الشر،

ولا تقل أنا آمن على نفسي من أهل الأهواء والبدع ولا يمكن أن يؤثروا عليّ
 أولاً اعلم -رحمني الله وإياك- أنَّ القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمان يُقْلِبُهَا
 كيف يشاء لذلك أمرنا أن نسأل الله أن يثبتنا الله وإياكم أمرنا النبي -صلى الله
 عليه وسلم- أن نقول في السجود: ((يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ))،
 ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ ﴿نَسَأَلُ اللَّهَ
 أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْهُمْ، فَإِذَا بَلَ ابْتَعَدَ أَصْلًا عَنِ الْأَمَاكِنِ الْمَوْبُوءَةِ سِوَاءِ مَا كَانَ أَهْلُهَا
 مِنْ أَهْلِ الْإِفْرَاطِ الْمُبْتَدِعِينَ أَوْ مِنْ أَهْلِ التَّفْرِيطِ الْمُلْحِدِينَ، ابْتَعَدَ عَنْهُمْ كُلَّ الْبَعْدِ
 وَانْفَرَّ مِنْهُمْ، وَلَا تَقْرَبُهُمْ فَإِنَّهُمْ يُؤْذِنُونَكَ وَرَبِّمَا أَجْرِبُونَكَ وَرَبِّمَا أَوْقَعُونَكَ فِي حَبَائِلِ
 أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ، فَإِنْ تَجَنَّبَ الْفِتْنَ وَالْبَعْدَ عَنْهَا قَبْلَ أَنْ تَقَعَ أَمْرٌ مَتَعِينَ، فَأَنَا بِنَفْسِكَ يَا
 عَبْدَ اللَّهِ،

قدهيئك لأمر لو فطنت له *** فاربأ بنفسك أن ترعى مع

الهمل

جالس الصالحين جالس الطيبين الذين ينفعونك في أمر دينك ودنياك

الهنن:

وَتَرَكُ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ

الشرح:

هذا تأكيداً لما تقدم وهو ترك المراء والجدال والخصومات في الدين، كالذين يجادلون بغير حق، أمّا إذا كانت مناقشات بأدب واحترام في النصوص وفي ضوء النصوص، ومقارعة الحجة بالحجة هذا أمرٌ مطلوب، لكن الجدال بالباطل قد يوقع صاحبه -والعياذ بالله- فيما لا تحمد عقباه، إذا دخل الناس في الجدال الباطل قد يكون البعض يُغلب على أمره، أو تقام عليه حجج وشبه واهية لا يستطيع ردها لضعفه أو لعدم تمكنه من العلم الذي يردُّ به هذا الباطل فابتعد عنه أصلاً ولا تقربه، ((فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ

وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ
حِمَى أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ ((
المنز:

وَالسُّنَّةُ عِنْدَنَا آثَارُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

الشرح:

والسنة عندنا آثار رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

الآثار على قسمين:

- قسمٌ قد يأخذ حكم العادة.
- وقسمٌ يعتبر عبادة.

أما ما يتعلق بالعادة فالغالب فيه أن الأصل أنه مباح، مخير العبد بين فعله وتركه
إلا إذا اقترن بوصفٍ يقتضي أنه سنة، مثلاً: كون النبي - صلى الله عليه وسلم - له
لمة وله جمة في شعر رأسه أرى بعض الناس يتشدد فيه وكأنه يكاد يجعله من السنن

والذي يظهر لي أنه من العادات أقرب منه إلى العبادات، وبعض الأمور الاعتيادية كالأكل والشرب ونحو ذلك، إلا إذا اقترن بأمرٍ يجعله سنة كالأكل باليمين والأكل من ما يليك ونحو ذلك، وعدم الإسراف ونحو ذلك هذا نوعٌ من الآثار، وأما الأثر الذي هو المرادف للحديث فهذا يقصد به ما أضيف للنبي -صلى الله عليه وسلم- من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو وصف، وهذا أمرٌ مفصل في كتب السنة كما تعلمون، فكل ما أُرث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- تحت هذا الضابط تعين العمل به بحسب حاله إما أن يكون واجبًا أو فرضًا، إما أن يكون سنة إما أن يكون مستحبًا، فالواجب علينا التقيد بذلك.

أما الآثار بمعناها عند الخرافيين فإنهم يعنون بذلك أي مكان جلس فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- أو مر به، أو قال فيه، أو مر به في أسفاره، أو حتى ما يتوهم أنه مر به، فبنوا على ذلك عباداتٍ بدعية لا أصل لها، كما يفعله بعض الخرافيين الآن في غار ثور، أو في غار حراء، أو عند غار يدعون أن النبي جلس فيه يوم أحد، أو عند شجرة بيعة الرضوان، أو ما يسمى عندنا في المدينة بالمسجد السبعة، أو نحو ذلك، فهذه الأمور لا أصل لها، ولا علاقة لها بالسنة، لو أردنا أن نتبع على ذلك لوجدت آلاف الأماكن التي مر بها النبي -صلى الله عليه وسلم-

أو وطئها أو جلس فيها أو استراح فيها أو نام فيها أو نحو ذلك إلا مكاناً خصه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعبادة كما أمره الله -عز وجل- بقوله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ﴾ فهنا النبي -صلى الله عليه وسلم- طبق ذلك، فجاء خلف المقام وصلى ركعتين، هذا أمرٌ واضح.

وأما التوسع فيما يسمى بالآثار الذي يشجعه المبتدعة في هذا العصر وقد وصل الحال بهم إلى أن يدعوا أموراً لا أصل لها أصل بالكلية في السنة النبوية، فيذهبون ويتبركون بها ويجلسون فيها، يصلون فيها ويتعبدون فيها أو نحو ذلك من الخرافات والخزعبلات، فالواجب علينا اتباع الأثر النبوي الثابت من قول أو فعل أو تقرير.

المنز:

وَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ، وَهِيَ دَلَالُ الْقُرْآنِ.

الشرح:

"وَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ، وَهِيَ دَلَالُ الْقُرْآنِ"

من المعلوم الذي عليه إجماع عند أهل السنة أن السنة وحيٌّ كما أن القرآن وحيٌّ، فالكل وحيٌّ من الله، قال الله - عز وجل - : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ وقال - جل وعلا - : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ ويقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : ((إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ))، والله - تبارك وتعالى - يقول : ﴿ وَادْكُرْنَا مَا يَتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ ما هي الحكمة؟ السنة وهذا بإجماع المفسرين، فالسنة وحيٌّ كما أن القرآن وحيٌّ، يجب الإيمان بذلك والتسليم له ولا يجوز أن نفرق بين الكتاب والسنة، بل السنة مفسرةٌ للقرآن وموضحةٌ له، مفسرةٌ لمجمله ومقيدةٌ لمطلقه، ومخصصةٌ لعمومه، وقد تكون فيها أحكام ليست في القرآن الكريم إلا بالعموم تحت قوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ وقد وجدت فرق تُنكر السنة، وفرق أخرى تُخضع السنة للعقل حتى ولو صح سندها، والله - تبارك وتعالى - قد تكفل بحفظ دينه بحفظ القرآن والسنة، قال الله - عز وجل - : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ فالله حفظ السنة كما حفظ القرآن، ولذا فقد وفق الله علماء المسلمين لعلوم تخدم السنة، وتكون سبباً في

حفظها، يتمثل ذلك في علم الحديث، في علوم الحديث، وفي مصطلح الحديث،
وفي علوم الإسناد، وما يتعلق بذلك من مسائل،

يقول الإمام الجليل عبد الله بن المبارك -رحمه الله تعالى-: **"الإسناد من الدين،
ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"** فالإسناد عن فلان عن فلان عن
رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ومنه سلسلة الذهب، عن مالك عن نافع عن
ابن عمر عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-،

ومن أعجب الأقوال الباطلة وأبطلها قول بعض المبتدعة من المتصوفة وغيرهم
انتقاداً لأهل السنة **"أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي
لا يموت"** ومقصودهم في هذا أنهم يتلقون عن الله مباشرة عن طريق شيوخ
الطواغيت الذين نصبوا أنفسهم وسائط بين الله وبين العباد، وهؤلاء
ضالون مضلون لا يُعَبَأُ بأقوالهم، كفى بالمسلمين شرفاً هذا العلم الذي أخذوه ميتاً
عن ميت، كالذي عن نافع عن مالك عن ابن عمر عن رسول الله -صلى الله عليه
وسلم-، فهذا هو المصدر العظيم الثابت إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-،
ولذلك قيض الله لهذه الأمة هذه العلوم علوم الحديث، ميزوا بها الصحيح من
الحسن من الضعيف من الموضوع، عرفتم هذا يا إخواني المهم لا بد من لزوم

السنة، والعض عليها بالنواجذ، "والسنة ما وافق الحق ولو كنت وحدك" كما قال السلف،

"والسنة سفينة نوح" كما قال مالك - رحمه الله - "من ركبها نجا ومن تركها غرق وهلك"
الهنز:

وَلَيْسَ فِي السُّنَّةِ قِيَاسٌ

الشرح:

ليس في السنة قياس، المقصود أن السنة لا تضرب لها الأمثال بالأقيسة الفاسدة،

فلا مجال لأن يُعمد إلى كل فعل فعله النبي - صلى الله عليه وسلم - فيقاس عليه، لاسيما في باب العقيدة وفي باب العبادات، والمقصود بذلك الأقيسة الفاسدة كالأقيسة المنطقية الفلسفية التي ترك أهلها هدي الكتاب والسنة واشتغلوا بعلم الكلام، والأقيسة مقدمات تترتب عليها نتائج كليات تترتب

عليها جزئيات تتفرع عنها جزئيات ونحو ذلك، مما أوقعهم في الإعراض عن ذكر الله عن كتاب الله - عز وجل - وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - والإغراق في علم المنطق، فأعرضوا عن ذكر الله ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١﴾ فلنحذر من جعل هذه الأقيسة الفاسدة،

أما القياس المعروف عند أهل الأصول والذي هو إلحاق فرع بأصل في حكم شرعي لعله جامعة بينهما أو نحو ذلك فهذا يُلجأ إليه كما يُلجأ إلى الميتة في باب المعاملات، وفي بعض المسائل غير العقدية، يُلجأ إليه كما يُلجأ إلى الميتة بضوابط معينة قررها أهل الأصول فليرجع إليها،

أما الأقيسة التي هي ضرب الأمثال للسنة والقياس عليها أو التوسع في ذلك فإن ذلك باطل عند أهل السنة والجماعة.

الهنز:

وَلَا تُضْرَبُ لَهَا الْأَمْثَالُ،

الشرح:

نفس الشيء لا تُضْرَبُ الأمثال للسنة النبوية، كما لا تضرب للقرآن، بل ولا تضرب لله - عز وجل - ،

طيب هناك سؤال: ما الفرق بين ضرب الأمثال المحذر منه في نحو قول الله - عز

وجل - : ﴿فَلَا تُضْرَبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالُ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ وفي

الأمثلة التي ضربت في القرآن والسنة في مثل قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورٌ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ إلى آخر الآية، وكما في قول النبي -

صلى الله عليه وسلم:- ((إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تَضَامُونَ

فِي رُؤْيَيْهِ)) مالفرق؟

أنا سؤالي : كيف نُبيِّن للناس كون الله -عز وجل- نهى أن تُضرب الأمثال لله -

عز وجل- وبين ما ضربه الله -سبحانه وتعالى- أو ضربه رسوله -صلى الله

عليه وسلم- من أمثلة؟ المقصود فرقٌ بين أن تضرب له الأمثال بأن تُشبهه

بغيره، أو تُشبهه غيره به، وبين أن تضرب أمثالا محسوسة لتقريب الجواب إلى

السامع، فرقٌ بين هذا وذاك، بل إنَّ الأمر الأخير قد جاء في القرآن والسنة،

وألقت فيه رسائل، الأمثال في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية هذا أمرٌ واضح،

ولهذا هناك طرفة عند أبي تمام الشاعر المعروف، مدح الخليفة بقوله :

إقدام عمرو في سماحة حاتم *** في حلم أحنف في ذكاء إياس

فأحد المنافسين لهذا الشاعر قال وهو ينظر للمعتصم: أما زدت أن شبّهت أمير

المؤمنين بأجلاف العرب! فأطرق قليلاً ثم أجاب بداهةً :

لا تُنكروا ضربي له من دونهُ *** مثلاً شروداً في الندى والباسِ

فاللهُ قد ضربَ الأقل لنوره *** مثلاً من المشكاة والنبراسِ

يعني - سبحان الله العظيم - هذه تدل على أنّ الشعراء القدامى كانوا يحفظون القرآن ويعرفون معانيه، يعني يقول لا تستغربوا كوني أنا شبهته ببعض العرب ليس معنى ذلك أنّه مثلهم من كل وجه، بل هو أحسن من كثيرٍ منهم، لكن هذا التشبيه وردَ أمثاله في القرآن الكريم ، فالله ضربَ مثلاً نوره بالمشكاة، ولا شكّ أن نوره فوق المشكاة، ليست هناك مقارنة لكن المقصود هو التقريب، المقصود تقريب المعنى ليكون أوقع وأكثر تأثيراً في نفس أو ذهن المخاطب أو السامع.

المنز:

وَلَا تُدْرِكُ بِالْعُقُولِ وَلَا الْأَهْوَاءِ، إِنَّمَا هُوَ الْإِتْبَاعُ وَتَرَكُ الْهَوَى.

الشرح:

يعني لا يُنظر إلى السنة بمجرد العقول والأهواء، فإنَّ الأهواء في غاية الخطورة، وقد نهى الله - عز وجل - عن اتباع الهوى ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ ، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ﴾ فالهوى مذموم، اتباع الهوى مذموم، يعني لا يُنظر إلى السنة بأن تُحكَمَ فيها العقول، فيقال: العقل يقتضي كذا وكذا، والعقل يقتضي بكذا وكذا، وهذا الأمر مُخالفٌ للعقل كما يقول نفاة الصفات، بأن إثبات الصفات مُخالفٌ للعقل؛ لأنَّ تلك الصفات لا تليقُ بالله - جل وعلا - وسبب وقوعهم في هذا البلاء، أنهم ما فهموا من صفات الله إلا ما يُشبهه صفات المخلوقين، فلما فهموا هذا الفهم السقيم، لجأوا إلى النفي والتعطيل، ثم إنهم لما وجدوا أنَّ النفي والتعطيل قد أنكره الناس، لجأوا إلى التأويل بغير المعنى الحقيقي الواضح من القرآن والسنة، فوقعوا في شرٍّ ممَّا فرّوا منه، ولذلك قال العلماء ومشايخ الإسلام إنَّ أهل الكلام يعني نفاة الصفات:

شبهوا أولاً ، وعطلوا ثانياً ، وأولوا ثالثاً ، وشبهوا الله بالمعدومات رابعاً .

كيف وقعوا في التشبيه؟ فهمهم للنصوص فهم تشبيه لأنهم ما عرفوا بصراً إلا بصر البشر، ما عرفوا سمعاً إلا سمع البشر، وما عرفوا علماً إلا علم البشر، وما عرفوا مجيئاً إلا مجيء البشر، وما عرفوا استواءً إلا استواء البشر، لما فهموا هذا الفهم، هذا هو أول فهم استقر في أذهانهم وقلوبهم.

لما استقر هذا الفهم في أذهانهم لجأوا إلى التعطيل، قالوا أبداً لا نقول إنه يُبصر ولا يسمع كما قال جهم بن صفوان ذات يوم وهو يقرر نفي الصفات، بل ونفي الذات ولكن هو بدأ بنفي الصفات وقال إن الله سميعٌ بلا سمع، بصيرٌ بلا بصر، عليمٌ بلا علم، قوي بلا قوة جوادٌ بلا جود، سمعه أعرابي أظن يقال له ابن الجهم سمعه يردد هذه العبارة، فاحترار الرجل كيف يُتصور شيء يوصف إنه سميع بلا سمع وبصيرٌ بلا بصر فوقف فقال هذه الأبيات وراجعوها في كتاب

"جلاء العينين في محاكمة الأحمدين" لمن الكتاب؟ ومن هما الأحمدان؟
الأحمدان هما ابن تيمية، وابن حجر الهيتمي صاحب "الزواجر" صاحب
"الصواعق المحرقة" هذا الرجل ردّ على شيخ الإسلام ابن تيمية وجهله
وبدعه، من هو المؤلف يا شيخ؟ مؤلف الكتاب الذي كتبه جلاء العينين في
محاكمة الأحمدين؟ الألووسي هذا الكتاب عظيم، الأحمدان هما ابن تيمية،
وابن حجر الهيتمي حيث أجرى محاكمة انتصر فيها لشيخ الإسلام ابن تيمية
يعني الألووسي انتصر له،

نعود إلى الأبيات، أبيات الأعرابي الذي رد على جهم قال:

أَلَا إِنَّ جَهْمًا كَافِرٌ بَانَ كُفْرُهُ *** وَمَنْ قَالَ يَوْمًا قَوْلَ جَهْمٍ فَقَدْ كَفَرَ

لَقَدْ جَنَّ جَهْمٌ إِذْ يُسَمَّى إِلَهُهُ *** سَمِيعًا بَلَا سَمْعٍ بَصِيرًا بَلَا بَصَرَ

عَلِيمًا بَلَا عِلْمٍ رَضِيًّا بَلَا رِضًا *** لَطِيفًا بَلَا لُطْفٍ خَبِيرًا بَلَا خَبَرَ

أَيُّرِضِيكَ أَنْ لَوْ قَالَ يَا جَهْمُ قَائِلٌ *** أَبُوكَ امْرُؤٌ حُرٌّ خَطِيرٌ بَلَا خَطَرَ

مَلِيحٌ بِلَا مَلَحٍ بَهِيٌّ بِلَا بَهَا *** طَوِيلٌ بِلَا طَوِيلٍ يُخَالِفُهُ الْقِصْرُ

حَلِيمٌ بِلَا حِلْمٍ وَفِيٌّ بِلَا وَفَا *** فَبِالْعَقْلِ مَوْصُوفٌ وَبِالْجَهْلِ مُشْتَهَرٌ

جَوَادٌ بِلَا جُودٍ قَوِيٌّ بِلَا قُوَى *** كَبِيرٌ بِلَا كَبَرٍ صَغِيرٌ بِلَا صِغَرٍ

أَمْدَحًا تَرَاهُ أُمَّ هِجَاءً وَسُبَّةً *** وَهَزَاءً كَفَاكَ اللَّهُ يَا أَحْمَقَ الْبَشَرَ

فَإِنَّكَ شَيْطَانٌ بُعِثَ لِأُمَّةٍ *** تُصَيِّرُهُمْ عَمَّا قَرِيبٍ إِلَى سَقَرٍ

راجعوها كما قلت لكم في كتاب جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، نعود إلى

قضية أنهم شبّهوا أولاً، وعطلوا ثانياً مثل ما قال جهم سميعٌ بلا سمع بصيرٌ بلا

بصر، طيب أولوا ثالثاً بعضهم لا كلهم قالوا لا يمكن أن تكون هذه الصفات بلا

معانٍ لكن ما المعاني التي أتوا بها؟ معاني تخالف ظاهر اللفظ لغةً وشرعاً وعقلاً

فعندما فسروا استوى بمعنى استولى، وسيأتينا تفصيل ذلك، هل تأتي في اللغة؟

وإذا كان عندنا أحد متخصصين في اللغة؟ هل تأتي استوى بمعنى استولى؟ لا

يمكن بحال من الأحوال في حال من الأحوال لا يمكن، عندما نفوا الكلام،

قالوا الله لا يتكلم هل الذي يتكلم يُسمى متكلمًا، ولذلك اضطرُّوا أن يقولوا هو المعنى القائم بالذات، ثم كيف شبهوا الله بالمعدومات كيف؟ عندما يقولون لا متصل ولا منفصل، ولا موجود ولا معدوم، ولا فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال ولا خلف ولا أمام، ولا ولا، ولا داخل العالم ولا خارجه، أنا أضرب لكم مثالًا الآن لو قيل زيدٌ من الناس لا داخل هذا المسجد ولا خارج المسجد، ولا فوق الأرض ولا تحت الأرض، ولا تحت السماء ولا فوق السماء، النتيجة أنه معدوم ليس موجودًا حتى يوصف بهذا الوصف، ولذلك فإن عقيدة الجهمية الأولى أن الله موجودٌ وجودًا ذهنيًا لا يتصور وجوده في الأعيان في الواقع، كلام فارغ لا يقول به حتى المجانين، وارجعوا إلى هذه المعلومة في الرسالة التدمرية وشروحها، فإذا هذا معنى كونهم عطلوا أنهم شبهوا أولًا حيث لم يفهموا من صفات الله إلا ما يليق بالمخلوق، عندها وجدوا أنفسهم مضطرين إلى النفي، ثم لما رأى بعضهم أن النفي لا ينفع

اضطروا إلى التأويل ففسروها بغير معانيها، ثم نتج عن هذا أن بعضهم جرده من جميع الأسماء والصفات فأصبح كالمعدوم الذي لا وجود له في حقيقة الأمر - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً -.

المنز:

وَمِنَ السُّنَّةِ اللَّازِمَةِ الَّتِي مَنْ تَرَكَ مِنْهَا خِصْلَةً - لَمْ يَقْبَلْهَا وَيُؤْمِنُ بِهَا - لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِهَا، الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرٌ وَشَرٌّ، وَالتَّصَدِيقُ بِالْأَحَادِيثِ فِيهِ، وَالْإِيمَانُ بِهَا، لَا يُقَالُ لِمَ وَلَا كَيْفَ، إِنَّمَا هُوَ التَّصَدِيقُ وَالْإِيمَانُ بِهَا

الشرح:

الشيخ - رحمه الله - بدأ أو خصص القدر من بين أمور السنة التي يجب لزومها لكثرة الخوض والاختلاف فيه، ولأنه عاصر المعتزلة الذين ينفون القدر وينفون العلم فمن أعظم ما يجب فهمه والإيمان به الإيمان بالقدر، قال الله - عز وجل - ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ وقال - تبارك وتعالى -: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ﴾

تَقْدِيرًا ﴿﴾ وقال - صلى الله عليه وسلم - مجيباً جبريل - عليه السلام - في حديث

عمر المشهور المعروف عندما قال: ((**أَخْبَرَنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: الْإِيمَانُ أَنْ**

تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)) ولَمَّا

سُئِلَ عبد الله بن عمر عن القدرية تلا هذا الحديث ثمَّ قال: " **فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ**

فَأَخْبِرُوهُمْ أَنَّ ابْنَ عَمْرِو بْنِ بَرِيٍّ مِنْهُمْ وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ عَمْرِو بْنِ بَرِيٍّ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُهُمْ

مِثْلَ أَحَدٍ مَا قَبَلَ اللَّهُ مِنْهُمْ حَتَّى يُؤْمِنُوا بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ حَلْوَهُ وَمَرَهُ مِنَ اللَّهِ

تَعَالَى "

والإيمان بالقدر والتصديق به يتطلب الإيمان بأربع مراتب، لماذا قلنا أربع

مراتب ولم نقل أربعة؟ أين أحفاد سيبويه؟ لأن المعدود مؤنث فاقتضى أن

يكون العدد مذكر مخالفاً له من ثلاثة إلى تسعة، هذه المراتب الأربع هي:

أولاً: العلم ، علم الله الأبدى الأزلي يعني الإيمان بأن الله يعلم ما كان وما يكون

وما لم يكن أن لو كان كيف يكون قال الله - عز وجل - : ﴿ **وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ**

مَنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴿١﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ وقال - جل وعلا-: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ فالله - تبارك وتعالى - يعلم علماً أزلياً أبدياً بلا ابتداءٍ وبلا انتهاء، وهذا العلم لم ينفه إلا بعض غلاة القدرية القدامى كغيلان الدمشقي، ومعبد الجهني، ونحو ذلك، أمّا من جاءوا بعدهم فإنهم ينفون الكتابة والتقدير،

المرتبة الثانية: الكتابة، تقدير الله - تبارك وتعالى - للأمور قبل خلقها قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال الله - عز وجل -: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ وقال - تبارك وتعالى - : ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ وقال - تبارك وتعالى - : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ذكرنا

هذه الآية، وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ والآيات في هذا كثيرة.

ويقول النبي -صلى الله عليه سلم-: ((كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ))

وصح عنه -صلى الله عليه سلم- أنه قال: ((إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ قَالَ رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ قَالَ اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ))

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة، فلا بُدَّ أن نُؤمن أن الله علم الأشياء ثم كتبها وقدرها في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض.

المرتبة الثالثة: المشيئة، الإيمان بمشيئة الله العامة، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن كل شيء عنده بمقدار، وكل شيء يجري بقضاء الله وقدره، وأنه لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، قال تعالى: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾

وقال -جلَّ علا-: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

وقال تعالى: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

فلا بُدَّ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ النَّافِذَةِ الْعَامَّةِ، وَالْإِرَادَةِ وَالْمَشِيئَةَ عَلَى قَسْمَيْنِ:

• إرادة كونية قدرية عامة،

• وإرادة دينية أمرية شرعية،

والفرق بينهما أنَّ الإرادة العامة الكونية القدرية هي الإيمان بأنه لا يقع شيء

خارج عن إرادة الله - سبحانه وتعالى - بما في ذلك الهداية والإضلال ﴿مَنْ يَشَأِ

اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فالله - عزَّ وجلَّ - هو الفعَّال

لِمَا يُرِيدُ، وهو شاء قدرًا إيمان المؤمن، كما شاء قدرًا كُفَرَ الكافر، ومعصية

العاصي، انتبهوا إلى الفرق بين كلمة "شاء" وبين كلمة "فعل" لأنه سيأتينا أن

القدرية خلطوا بين الفعل والمشيئة، فهذه المشيئة العامة الكلية المتعلقة بكون

الله - عزَّ وجلَّ - مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ

يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

والثانية: المشيئة الدينية الشرعية وهي المتعلقة بما يحببه الله ويرضاه، فإنه يريد

منا الإيمان ديناً وشرعاً وإن لم يُقدره كوناً وقدرًا،

قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾، ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ

يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ

يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾، ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ

لِلْإِسْلَامِ﴾

هذه اسمها الإرادة الدينية الشرعية الأمرية المتضمنة لما أمر الله به ولما يحبه الله

ويرضاه، هاتان الإرادتان تجتمعان في حق صنفٍ وتنفردُ إحداهما في حق صنفٍ

فمن يُجيب؟ الإرادة العامة القدرية الكونية والإرادة الدينية الشرعية الأمرية

تجتمع الإرادتان في حق صنفٍ من الناس، وتنفردُ إحداهما في حق الصنف

الآخر:

• تنفرد الإرادة الكونية في حق الكافر والعاصي وإن كان مُسلماً، فالمعاصي

قد شاءها الله كوناً وقدرًا ولكن لم يردّها ديناً وشرعاً انتبه،

إذا تنفردُ الإرادة الكونية في حق من؟ الكافر والعاصي.

• وتجتَمع الإرادتَانِ في حقِ المؤمنِ المطيع، كيف؟ فإنه بإيمانه وطاعته

تحققت في حقه الإرادة العامة، وكذلك الإرادة الشرعية المتضمنة لما يُحبه الله

ويرضاه.

انتبهوا لأنّ التقسيم هذا يترتب عليه الرد على الجبرية والقدرية كما سيأتي له

مزيدُ إيضاحٍ بإذن الله -تعالى- .

إذاً هذه المرتبة الثالثة المشيئة فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وبيننا لكم

تقسيم المشيئة والإرادة.

الرابعة: الخلق وفق تلك الإرادة، ووفق ذلك التقدير والكتاب قال الله -عزّ

وجلّ- ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ وقال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾

وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ والآيات كثيرة في هذا الباب

فعلينا أن نؤمن بالقدر وأن لا نُكثِر من الخوض فيه وأن نجتهد في التسليم بما

أمر الله به، وإن قصرت عقولنا عن إدراكِ حكمته أو الهدف منه، ولنعلم أننا

متعبّدون لله -عزّ وجلّ- وأنّ هذه أعظمُ حكمة خُلقنا لها ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ

وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وكان من شأن الصحابة إذا نزلت آية أو قال لهم النبيّ -

صلى الله عليه وسلّم- أمرا يقولون سمعنا وأطعنا، ولا يُوجد منهم من يقول

لماذا؟ وكيف؟ لأنّ أكثر الذين ضلّوا في هذا الباب إنّما ضلّوا بسبب لماذا؟

وكيف؟

أبو بكر الصّديق -رضي الله عنه- لما أسرع إليه كفّار قريش وقالوا انظر ما

يقول صاحبك يقول إنّهُ أُسْرِي به إلى بيت المقدس وعُرجَ به إلى السّماء وعادَ

من ليلته ونحن نضرب أكباد الإبل أشهر حتى نصل إلى بيت المقدس، يعني هم ظنوا أن أبا بكر إذا سمع هذا الخبر سوف يرتد أو يشك في دينه حاشاه ذلك فأبو بكر خشي أن يكونوا قد افتروا فقال: "إن كان قاله فقد صدق" - سبحان الله - وقد ثبت أنه قاله وهو الصحيح وهو أمر يجب الإيمان به لأن الله بينه في كتابه وبينه رسوله - صلى الله عليه وسلم - وكان الصحابة جميعا لا يسألون لماذا؟ وكيف؟ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ ، ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ فيجب الإيمان بالقدر وعدم الخوض فيه إلا بقدر ما نتوصل به إلى هذه الأمور وهي معرفة هذه المراتب، وقد انقسم الناس في هذا الباب إلى قسمين، أعني أهل الباطل أو إذا أخذنا في الاعتبار أهل السنة لقلنا ثلاثة أقسام طرفان ووسط:

فهناك القدرية الذين أنكروا القدر وهم قسمان:

- نفاة العلم وهؤلاء كُفار بإجماع المسلمين.
- ونفاة الخلق الأزلي، خلق الكتابة في القدر وهؤلاء توقف بعض أهل السنة في أمرهم حتى تُقام عليهم الحجج فإن أصرُّوا بعد علمهم كُفروا، نفاة العلم علم الله الأبدى الأزلي الذين قالوا تقليداً لليهود إن الله لا يعلم الأشياء قبل كونها أو إنه يعلم الكليات دون الجزئيات، وأن الأمر أنف ونحو ذلك فهؤلاء كُفار بإجماع المسلمين ابتداء.

أما القدرية الآخريين الذين قالوا الذين أنكروا علم الكتابة وأن الله لم يخلق أفعال العباد ولم يُقدرها بل العبد هو الذي يخلق فعله هؤلاء الناس العلماء اختلفوا فيهم ولا شك أنه متى أقيمت عليهم الحجّة ولم يسلّموا ويدعِنوا فلا شك في كفرهم أيضا، وهم عامّة المعتزلة، عامّة المعتزلة هكذا وهم بهذا يُشبهون المجوس ولذلك صحت الأحاديث أو تبلغ درجة الحسن بمجموع طرقها مثل حديث القدرية ((أَنَّهُمْ مَجُوسٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ، فَإِنْ مَرَضُوا فَلَا

تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا، فَلَا تَشْهَدُوا جَنَائِزَهُمْ)) ورواية هذا الحديث تشكّل في

مجموعها درجة الحسن.

طيب السؤال ما وجه مُشابهتهم للمجوس؟ إنّ وجه الشّبه بين القدريّة النُّفَاة نُفَاة

القدر بالذات وبين المجوس في أنّ كلّاً منهم يقول بوجود خالقين، فالمجوس

الثانوية الفُرس سُمّوا بالثانويّة لاعتقادهم خالقين يقولون أنّ ثمة خالقين النُّور

يخلق الخير، والظلمة تخلق الشرّ -والعياذ بالله-.

القدريّة اعترفوا بأن الله خالق العباد ولكن قالوا إنّ العباد هم الخالقون لأفعالهم

فشابهوا المجوس من هذا الوجه قالوا الله خالق العبد، والعبد خالق الفعل

وباختصار ترد عليهم الآية الكريمة: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ فجميع

المخلوقات خلق لله العباد وأفعال العباد، نعم هي من العبد كسباً وفعلاً مباشراً

ومن الله تقديرًا ومشيةً، فيجب أن نفهم هذا، عاكسهم من؟ الجبرية، الجبرية

جعلوا فعل العبد هو عين فعل الله، جعلوا فعل العبد هو عين فعل الله، فبنى

بعضهم على ذلك -والعياذ بالله- كيف يعذب على أمر هو قد فعله؟! وسلبوا

العبد مشيئته وقالوا: إن هو كالغصن في مهب الريح ويرددون:

ألقاه مكتوفاً في اليم وقال له ... إياك إياك أن تبتل بالماء

ولذلك يقول عمرو بن عبيد وهو في جانب قدري، وفي جانب جبري،

يقول: أرأيت إن أورثني الردى ومنعني الهدى أيكون عادلاً -تعالى الله-

فقالوا له، قالوا له أهل السنة : إن منعك أمراً هو ملكك فهو كما قلت، وإن

منعك أمراً هو يملكه فلا اعتراض عليه -سبحانه وتعالى-

وكما قلت نعود فنقول لا نكثر من الخوض في القدر،

طيب إذا جاءتك وسوسة في القدر ماذا تفعل؟ تقول ماذا؟

أمنت بالله ثم تقلع، تدفعها، ولا تُؤاخذ بتلك الخواطر، ولذلك شكى الصحابة

إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالوا: يا رسول الله إنا نجد في أنفسنا ما لا

نستطيع أن نتكلم به، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : ((ذَلِكَ صَرِيحٌ

الإيمان، وَمَحْضُ الإِيمَانِ)) يعني كونك خالص الإيمان، يعني كونك تستعظم أن تتكلم بتلك الخواطر التي هجمت على فؤادك استعظامك لذاته دليل - بإذن الله - على قوة إيمانك، يعني الإنسان إذا جاءت هذه الخواطر يرتعد قلبه وترتعد فرائصه ويقول آمنت بالله؛ يهرب إلى الله ﴿لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ ولذلك جاء في الدعاء في القنوت: **((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِعَفْوِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَبِكَ مِنْكَ)).**

ولما قال أحد القدرية الجبرية لعمر وقد قطع يده: كيف تقطع يدي وقد قدر الله علي أن أسرق؟ قال: وقد قدر الله علي أن أقطع يدك.

فإذا اختصار القول، وخلاصة القول أننا لا يجوز أن نخوض في القدر، فإذا خفت من الله واستحضرت عظمتها عندما يهجم عليك الشيطان فيقول لك: من خلق الله؟ الله هو الخالق لكن من خلق الله؟ هذا كله جاء في الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، هنا ماذا تقول؟ تقول آمنت بالله، ثم تطلع،

والفرق بين أهل السنة وبين أهل الأهواء في هذا الباب، أن أهل السنة إذا هجمت عليهم تلك الوسوس لا يسطرونها في كتابة ولا يتكلمون بها بألسنتهم بل يُهرعون إلى الله ويقولون آمنا بالله، وكما يقول الإمام الشافعي - رحمه الله -
: "آمنت بالله وما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله وما جاء عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على مراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
" فهنا الفرق؛

أما القدرية والمعتزلة والجهمية وغيرهم من المبتدعة والمارقين فإنهم كلما خطر بالهم من وسوس إما أنهم كتبوها في كتبهم أو قالوها بألسنتهم؛ وقد عفا الله عنا فيما توسوس به النفوس وفيما يهجم على الخواطر وفيما يخطر على القلوب، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ)) فالمبتدعة جمعوا بين الكلام

والعمل - والعياذ بالله - تكلموا بكل ما يجول في خواطرهم وسطروه في كتبهم

- والعياذ بالله - فوقعوا في هذا البلاء.

لعلنا نكتفي بهذا القدر في هذه الليلة وإلى درس الغد أستودعكم الله - درس

الغد بعد الظهر - أستودعكم الله.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

السؤال:

أحسن الله إليكم هذه أسئلة من الشبكة.

السؤال:

تقول السائلة من بلجيكا نحن مجموعة من الأخوات مقيمات في بلجيكا

مستأجرات غرفة نجتمع فيها كل جمعة ونقرأ القرآن تعلمنا إحدى الأخوات

أحكام القرآن فما حكم خروجنا هذا؟

الجواب:

إذا لم يكن لكنّ محارم وهذا الخروج يتطلّب سفراً فهذا لا يجوز بحالٍ من الأحوال أمّا إذا كان لا يتطلّب سفراً وتركبن معاً مثلاً في سيارة واحدة والمسافة قصيرة والطريق آمن ففعلّ هذا من باب الضرورة فاتّقوا الله ما استطعتم.

السؤال:

هذا سائل من مصر يقول نحن مجموعة من الطلاب ندرس في كلية أصول الدين في مصر الحمد لله تعرّفنا على مذهب أهل السنة الصحيح بفهم السلف الصّالح ولكن في الجامعة كتب التوحيد والعقيدة كلها على مذهب الأشاعرة ولا بد من مذاكراتها والإتيان بثمراتها، وفي الاختبارات نمرُّ بمذهب الأشاعرة وكل مذاهب المتكلمين مع أنّنا نعرف أنّه خطأ ومع ذلك نكتبه لكي ننجح في هذه المادة فهل هذا يخرجنا من أهل السنة؟

الجواب:

والله يا أخي الكريم الغاية لا تبرر الوسيلة أنا لما جئت أسجل في الأزهر ووجدت هذا المنهج اضطررت إلى التسجيل في كلية الشريعة مع أنني كنت أريد كلية أصول الدين والمخرج من هذا أن تبحثوا عن كليات أخرى ولا أرى أن تبقوا في هذه الكلية لأمرين،

الأمر الأول أخشى أن تزرع العقيدة في نفوس البعض لأن لديهم شُبها خطيرة انطلت على جهابذة من العلماء أذكى مني ومنك ومن زيدٍ ومن عمرو لا تدري كيف انطلت عليهم النّووي والجويني وابن حجر، وإن كان ابن حجر أقلهم في هذا وغيرهم انطلت عليهم هذه الشُبها لأنهم توارثوها ولم يتعمدوا المخالفة فكيف بنا نحن كأمثالك طويلب علم صغير يتعرض لمثل هذه الفتن فلذلك الذي أقترحه أن تتركوا هذه الكلية طالما أنكم تضطرون إلى أن تُجيبوا بمذهب الخلف والغاية لا تبرر الوسيلة عند أهل السنة.

السؤال:

وهذا سائل من دولة العراق يقول -أحسن الله إليكم- الآن عندنا في العراق مظاهرات ويقومون بإغلاق المساجد كلها وتكون الصلاة موحدة في مكان المظاهرات فما حكم الصلاة هناك، هل نذهب أم لا؟

الجواب:

أولاً: ثبت العرش ثم انقش ما حكم المظاهرات قبل ذلك، وهذا شيء جديد كونه يترتب عليه إغلاق المساجد هذه مصيبة أخرى المظاهرات مبدأ يهودي ماسوني ليست من مبادئ أهل السنة أبداً في حال من الأحوال، حتى ولو أقرها ولي الأمر أول ما عرفت عن الماسونية، والحقيقة أود أن يهتم الإخوة في هذا البلد بتوزيع كتب المشايخ الذين ألفوا في هذا الباب منذ أن ظهرت تلك الفتن، ومن أهمها الرد على شبه القائلين بجواز المظاهرات من الإخوان المسلمين في

الأردن وقد رد عليهم الشيخ عبد العزيز السعيد ونقض كل ما استدلوا به، وكذلك هناك مؤلف سيظهر قريباً للشيخ ياسين الحاشدي وقد قدمت له، وهناك مؤلف للشيخ عبد الرحمن الشثري، وقبل هذا كله هناك كلام كثير لمشايخنا هيئة كبار العلماء سواء في خطبهم أو في بياناتهم حول حكم هذه المظاهرات، فأنا أرى إن استطعتم أن تصلوا في المساجد وإلا فلا تذهبوا إلى هذه الغوغائية لا شك أن أهل السنة في العراق في وضعٍ صعب جداً ولكن يا إخوتي الغاية لا تبرر الوسيلة، المظاهرات مبدأ غير إسلامي ولا يصح بحالٍ من الأحوال حتى ولو أدى ذلك إلى أن تصلوا في بيوتكم أو أن تجتمعوا أنتم أهل السنة ممن يقتنع برأي المشايخ، وليس رأيي، ممن يقتنع بحكم الله في مسألة المظاهرات وتصلون جماعة ولو في أماكن أخرى أما الذهاب إلى تلك الأماكن الموبوءة ومبدأ المظاهرات من حيث هو مبدأ غير شرعي.

أما ما ذكره أخي الكريم بالنسبة للمظاهرات في سوريا لو أنّ الإخوة السوريين
استشاروا العلماء في هذه القضية لكان خيرا لهم من أن يُسلموا رقابهم إلى هذا
الكافر الملحد الطّاغوت الخبيث النّصيري لأنّ الله - عزّ وجلّ - يقول: ﴿ فَاتَّقُوا
اللّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ ، ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

أما الآن وقد وقع الفأس في الرأس كما يقال فلا نملك لهم إلاّ الدّعاء بأن
ينصرهم الله على هذا الطّاغوت الذي قضى على الأخضر واليابس،
فادعوا الله أن يأخذه أخذ عزيز مقتدر هو وأعوانه وكلّ من يتعاطف معه،
أما هذا لا يبرّر كوننا نبيح المظاهرات أبداً مهما كان الأمر، لكن الآن المسلمين
أوقعهم أصحاب المظاهرات المُجيزين لها، والآن يتخلّون عنهم بعض
المسلمين يهدّدهم بعضُ المقاتلين المنضوين تحت بعض اللّواءات الحزبيّة
يهدّدون أهل السّنة السّلفين عندما ينتهون من هذا الكلب على حدّ زعمهم.
ولكن نقول اللهمّ اجمع كلمة إخواننا المسلمين في سوريا على الحقّ،

اللهم اجمع كلمة أهل السنة في سوريا على الحق، اللهم احقن دماءهم،

اللهم انصرهم على عدوك وعدوهم،

اللهم خذ هذه عزيز مقتدر،

اللهم أرنا فيه عجائب قدرتك،

اللهم زلزل الأرض من تحته،

اللهم أهلكه هو وأعوانه،

اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا

يا حيُّ يا قيُّوم يا ذا الجلال والإكرام.

واللهم صلِّ وسلِّم على نبينا ومحمد وعلى آله وصحبه جميعا.

للاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة ومزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع "ميراث الأنبياء" على الرابط

www.mirath.net وجزاكم الله خيرا

الشيخ صالح بن سعد السكيت



للشيخ صالح بن سعد السعدي

